

- ٢١٠ -

وبين جوانب الأسلوب الجاحظي التي كانت نسيج هذه الموضوعات ، وانكشابات لوجدنا ان أكثر ما تأخذه من هذه الخصائص ، أو تكون أقربها إليها :

● صحة اللغة وسلامتها نحواً ، ومن الذى يمكنه أن يقول بغير ذلك ؟ بل لعل مثلى ، وغيرى ممن هم أكثر منى قدرة ومعرفة بهذا الجانب ، لا يستطيع - أيهم - أن يقول بغيره ، ومن ثم فهذا الجانب قد يكون مجال أخذ ورد عند كبار علماء اللغة ، ولكن - على الأقل - ليس عندي ، أو ليس بالنسبة لتوجهات وامكانيات هذا البحث نفسه ، بل انه ليعتبر من قبيل البديهيات .

● الوصف الحى الواقعى لما شهده أو سمعه أو قيل أو روى له خاصة عندما كان يصف أحوال الناس والفئات والطبقات الاجتماعية الموجودة فى مجتمعه ، وما يتصل بها من صور ومشاهد بعضها ايجابى ، وبعضها الآخر سلبى ، جميعها واقعية لا خيالية وليست كذلك من بنات أفكاره .

● الاختيار الصحيح والكامل لنوعية اللغة ومستوى الأسلوب وما يتصل بهما من ألفاظ ومفردات ، تصلح قبل غيرها للتعبير عن مادة معينة أو مضمون دون آخر وكأنه بذلك كله كان يعرف أو يتوقع أو يستشف من هم الذين سيقبلون على قراءة المادة ، أو الأخرى ، أو الثالثة .

● وقد ترتب على ذلك أن يكون لكل كتابة ما يتصل بها اتصالاً وثيقاً ، ولكل موضوع ما يرتبط به قبل ارتباطه بغيره ، وفى سبيل ذلك ، فإن الرجل قد توصل الى نوع من المعرفة والادراك ليس لمستويات التعبير الأدبى فقط ، وانما لمستويات التعبير الموضوعى ، أو الاجتماعى ، أو العملى تلك التى تساوى عندها وتعبّر عن مستويات التعبير الصحفى نفسها ، والسابقة الاشارة اليها .

ان كتاباته الاخبارية ، غير اللغوية ، غير التاريخية ، غير الفكاهية ، لكل منها ملامحها المتصلة بمانتها ، دون أن تترك تماماً « الساحة الجاحظية » وانما كانت ترتبط بالخصائص الجاحظية عامة ، أو يشدها الرجل اليها بحبل متين من هذه الخصائص نفسها .